

البر والوفاء والعفو
في سيرة سيد الأنبياء

(فتح مكة)

أحمد بن صالح بن إبراهيم الطويان

دار طويق للنشر والتوزيع

الموقع الرسمي للشيخ أحمد الطويان

www.attwayan.com

المقدمة

يقول الحق تبارك وتعالى مخاطباً رسوله الكريم:
﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ .

هكذا كان خلق الحبيب محمد عليه الصلاة
والسلام، وهكذا كان سلوكه مع أصحابه، بل
ومع أعدائه الذين أسموه (الصادق الأمين).

وفي هذه الورقات طرف من مواقفه صلوات
الله وسلامه عليه في غزوة الفتح.

المؤلف

في مثل هذا العصر المتلاطم بالفتن والمليء
بالمتناقضات والانحرافات يجد المسلم نفسه مضطراً
إلى استحضار صورة مشرقة من صور العدالة
والرحمة والوفاء والعفو والصفح، ففي غزوة فتح
مكة نرى صورة من صور المجد والوفاء والتواضع
والعفو والسماحة ونقاء السريرة والرحمة نجد فيها
الدروس والعبر، فهي هو النبي الكريم عليه الصلاة
والسلام يُقبل بجيش عظيم قوامه عشرة آلاف
مقاتل ليفتح مكة بعد أن أُخرج منها وحاربه
أهلها وقتلوا من أصحابه من قتلوا وآذوه بالقول
والفعل وآذوا أصحابه وفتنوهم ونقضوا العهد



والميثاق، جاء فاتحاً مكة فكان الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه الأمين واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين، فتح استبشر به أهل الأرض والسماء ودخل الناس في دين الله أفواجاً وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجاً، خرج من المدينة إلى مكة وقال اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها.

وتهيأ لدخول مكة فقال سعد بن عبادة اليوم تستحل الكعبة اليوم أذل الله قريشاً.

فقال النبي عليه الصلاة والسلام هذا يوم يعظم

الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه، اليوم أعز الله قريشاً ونزع الراية من سعد ودفعها لابنه قيس، دخل مكة متواضعاً حتى أن رأسه ليصل إلى رحله، يقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ ، ونهى عن القتال إلا من قاتلهم، وقال من دخل داره فهو آمن وأمر بقتل رجال ونساء ولو وجدوا متعلقين بأستار الكعبة منهم الحويرث بن نفيل وعبدالله بن خطل، وهبار بن الأسود ومقيس بن صبابه وعبدالله بن سعد بن أبي السرح وعكرمة بن أبي جهل وقينتان لابن خطل كانتا تغنيان بهجاء رسول الله عليه الصلاة والسلام

ومولاة لبعض بني المطلب اسمها سارة، وكان
عبدالله بن أبي السرح قد أسلم وكتب الوحي ثم
ارتد فأتى به عثمان إلى رسول الله وكان أخاً له
من الرضاعة فلما جاء به ليستأمن له صمت النبي
عليه الصلاة والسلام طويلاً ثم قال: نعم فلما
انصرف مع عثمان قال عليه الصلاة والسلام أما
كان بينكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأي
قد صمت فيقتله قالوا يا رسول الله فهلا أومأت
إلينا فقال: إنه لا ينبغي لني أن تكون له خائنة
الأعين.

وعبدالله بن خطل أسلم وبعثه رسول الله عليه

الصلاة والسلام مع رجل من الأنصار مصداقاً
فقتل مولى الأنصاري، ثم ارتد مشركاً وكان له
قينتان تغنيان بهجاء النبي عليه الصلاة والسلام
فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة. وقتلت إحدى
المغنيتين واستؤمن للأخرى، والحويرث كان ممن
يؤذي النبي عليه الصلاة والسلام واعتدى على
الجمل الذي يحمل فاطمة وأم كلثوم لما أرادت
الهجرة فسقطتا عنه، فقتله علي - رضي الله عنه
- ومقيس بن صبابه قتل قاتل أخيه خطأ بعدما
أخذ الدية ثم ارتد مشركاً.

وسارة مولاة بني عبدالمطلب وعكرمة كان

يؤذي النبي عليه الصلاة والسلام واستؤمن لسارة
وأسلمت، وأما عكرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت
زوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام
واستأمنت له رسول الله عليه الصلاة والسلام
فذهبت في طلبه حتى أتت به إلى النبي عليه الصلاة
والسلام فقال عليه الصلاة والسلام: سيأتيكم
عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً فلا تسبوا أباه
فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت وأسلم
بين يدي رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال
رسول الله عليه الصلاة والسلام: اللهم اغفر له
كل عداوة عادانيها وكل مسير سار فيه إلى

موضع يريد به إطفاء نورك واغفر له ما نال من
عرضي في وجهي أو غيابي، فتهلل وجهه عكرمة.
وهبار بن الأسود هو الذي تعرض لزينب بنت
رسول الله حين هاجرت حتى سقطت على
صخرة فأسقطت جنينها ففر وأسلم وحسن
إسلامه.

وهم فضالة بن عمير بن الملوح بأن يقتل رسول
الله عليه الصلاة والسلام وهو يطوف بالبيت فلما
دنا منه قال رسول الله عليه الصلاة والسلام
أفضالة قال: نعم قال: ماذا تحدث به نفسك؟
قال: لا شيء كنت أذكر الله فضحك النبي عليه

الصلاة والسلام ثم قال استغفر الله ثم وضع يده إلى صدره فسكن قلبه وكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلي منه فرجعت إلى أهلي.

وفر صفوان بن أمية فاستأمن له عمير بن وهب الجمحي رسول الله عليه الصلاة والسلام فأمنه وأعطاه عمامته التي دخل بها مكة فلحقه عمير وهو يريد أن يركب البحر فردده وقال يا صفوان فذاك أبي وأمي اذكر الله في نفسك أن تهلكها فهذا أمان رسول الله قد جئتك به فقال اغرب عني لا تكلمني قال أي صفوان أفضل الناس وأبر

الناس وخير الناس، ابن عمك عزه عزك، وشرفه
شرفك، ومملكه ملكك قال إني أخافه على نفسي
قال هو أحلم من ذلك وأكرم فرجع معه حتى
وقف به على رسول الله عليه الصلاة والسلام
فقال: يزعم هذا أنك أمتني قال صدق قال:
فاجعلني بالخيار شهرين قال أنت بالخيار أربعة
أشهر وخرج مع النبي عليه الصلاة والسلام إلى
حنين وهو مشرك وراه النبي عليه الصلاة والسلام
ينظر إلى واد مليء بالإبل والغنم والبقر فقال
أتحب أن يكون هذا لك قال نعم قال هو لك
فأسلم - رضي الله عنه - وحسن إسلامه.

يوم بر ووفاء

وخطبهم وهم جلوس في المسجد الحرام فقال ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم قال فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١) اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وقال عليه الصلاة والسلام لما دفع مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة اليوم يوم بر ووفاء، وأذن بلال على الكعبة فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا فيسمع ما يغيظه فقال الحارث أما والله لو أعلم أنه حق لاتبعته

(١) سورة يوسف، الآية: ٩٢.

فقال أبو سفيان والله لا أقول شيئاً ولو تكلمت
لأخبرت هذه الحصباء عني فخرج عليهم رسول
الله فقال لهم قد علمت الذي قلت ثم ذكر لهم
ذلك فقال الحارث وعتاب نشهد أنك رسول الله
والله ما اطلع على هذا أحد فنقول أخبرك.

اليوم يوم تعظم فيه الكعبة وتعز فيه قريش
واليوم يوم بر ووفاء. ألا ما أكرم الأخلاق وما
أنبل الصفات.

يوم الفتح والنصر والتمكين هو يوم البر
والإحسان يوم الاقتدار يوم العفو والصفح يوم
القتال هو يوم الرحمة والشفقة والإحسان.

يوم الفتح يوم العقوبة لمن يستحقها ولو

استجار بالبيت الحرام فأين الذين ينادون اليوم بحقوق الإنسان؟ ألم يعلموا أن أمة الإسلام هي الأحق بالدفاع عن حقوق الإنسان وحفظها؟ أين حروب هذا العصر من عدل الإسلام وإنصافه ورحمته وحرماته، أين أخلاق الفاتحين اليوم والمنتصرين من أخلاق النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

أوذى في الله فصبر وأخرج من بلاده فجاهد حتى ظفر ودخل مكة متواضعاً فلما اقتدر عفا ولم ينتصر، فأى خلق أعظم من تلك الأخلاق، وأي صفة أكرم وأنبل من تلك الصفات؟ ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

البر والوفاء والعفو في سير سيد
الأنبياء: ١-١٠.



حَمِيمٌ ﴿١﴾ .



(١) سورة فصلت، الآية: ٣٤.